تقديم أ.د./ محمد زكريا عناني

الآبقُ من حفلٍ صاخب

شعر

عبد المنعم سالم

إهداء

إلى نازك

الرفيق والسند

فى الزمن الصعب

هذه اللؤلؤة

القصيدة سحابة طيّبة.. تحلّق فــوق رؤوســنا فــى زمــن القيظ.. تصحبنا أينما ذهبنا.. فإذا ما اشتدّ الحــرّ أمطرت عطراً وعنباً.. وإذا خاصمنا الصيف، واختبــأت الشمس خلف ستائر الشتاء.. أمطــرت الســحابة دفئــاً ووردا..، سحابة طيبة تولد فى لحظة صـــدق.. عندمــا تتصاعد أبخرة الحب.. أو الحرمان.. أو الغضب أو.. .. ..، من بحار الأحاسيس الصافية، والشــاعر وحــده - بموهبته وثقافته - هو القادر على نسج هــذه الأبخــرة (الشحنات الوجدانية) غمامة وإطلاقها فى الفضاء.

وعبد المنعم سالم ملأ سماء الإسكندرية بغمام الدفء والمتعة والحب منذ ما يزيد عن خمسة عشر عاماً ولفترة طويلة كان فيها شعره مجموعة من المرايا المتقابلة بيــن انعكاس وانعكاس مخالف نتيجة لارتباط الذاتى/الخــاص بالعام/الجمعى:

الريحُ تثقبُ القميصَ والضلوع
وتلتقى بالجوع

....

مسحتُ كفّى ثمّ أخرجتُ العلالةَ الأخيرة

حدّقتُ فيها لحظةً

رأيتُها رغيفا

....

وحين أسرعتْ يدى حالمةً

لجيب سروالى القديم.

لمستُ جلدىَ ارتجفت

....

وجائعٍ

حدّقَ فى آخر كسرةٍ لديه

ثمّ دسّها بجيبه ليطمئن جوعه

إلى علالةٍ أخيرة

....

بداية الطريق يا صغيرتى موحلةٌ

الجوع والشتاء

والعرى والعراء

لم يكن أمامه سوى الاســـتجابة لضغــوط الواقـــع والمصالحة المؤقتة مع معطياته من أجل اعـــادة البنـــاء والاستعداد لاستكمال الكفاح.. ارتـــدى ثيـــاب الصمـــت والصبر.. استجاب للنداهة.. ألقى بنفســـه فـــى حضـــن الغربة الشائك.. خاض معركة نفسية قاســـية.. فرضـــت عليه فرضاً – كما فرضت على كثير من أبناء جيلـــه – ولم يكن أمامه سوى أن ينتصر.. كلّما مزقت الهموم سبباً يصله بوطنه.. أسرع يربطه ويشدّ عليه.. كلمـــا جذبـــه اخطبوط الحزن إلى توهة.. أسرع بروحه فـــى الاتجـــاه المضاد نحو محبوبته (مصر) ليزداد امتزاجـــاً وتوحـــداً فيها، فهى عشقه الأوّل والأخير.

رحل وحيداً..تاركاً غمامـــه الطيّـــب يـــروى ظمـــأ الأرض والأهل والأحباب.. وقبل أن ينضـــب.. يرســـل مدداً من دموع الغربة يزيده عطراً وطهراً.. وكلّما هبّـت ريح الحنين واللوعة.. تسرع الأرض والأهل والأحبـــاب إلى مطر الذكرى.. يحتمون من المجهول.. ويختبئون فى ظلال الأيام الباسمة.. يزرعون عشب الأمنيـــات أمـــلاً جديداً يعين على الصبر والانتظار..

حتى عاد كما هو.. نورساً مغرّداً على شواطئ الثغر الجميل.. يستريح على موجة ويحلّق فوق أخرى.. عـــاد كما هو.. لم يزده البعد إلاّ قرباً.. ولم تـــزده الغربـــة إلاّ شوقاً ولهفة.. ولم تزده الأيام إلاّ قوّة وصلابة.. لم يتغـيّر فيه شئ.. غضّن الزمن جبينه.. لكنه لم يغضّن روحـــه.. عاد يكمل رحلة الحب السرمدى.. أحلامه أحلام وطنه.. آلامه وعذاباته.. آلام وعذابات وطنـــه.. ارتمـــى فـــى حضـــن محبوبته.. يبكى على صدرها.. ويتمسّح بيـــن يديها.. يقبلها.. يبوح بما فعل به الشوق:

معلّمتى أنتِ
هدبكِ ظلّى
وصوتكِ اهزوجتى الباقية
وصدركِ لى - حين أغفو - وسادة
وحبّكِ زادى بعام الرمادة
فكيف
أكون جحوداً
إذا ما أمرتِ

يسألها أن تأمر.. ليحقق لها أكثر مما تريد كما كان يفعل من قبل:

لم أكنْ عيسى
وما كانت عصى موسى معى
حينما جئتُكِ صبحاً بابليّاً
كنت فلاحاً فقيراً
وكما كان أبى
جئتُ كالحُبِّ نقياً وطهوراً
ولأنّى كنتُ صبّاً حالماً
أيقظتنى صرخةٌ فزعى تنادى
أدركوا خدرَ الأميرة
فانبرى حبىَ سيفاً مضريّاً
شجّ رأس الغولِ.. فانهدّ ذليلاً
وكريحٍ صرصرٍ عاتيةٍ
كان سيفى
فوق أعناق الفلول العاديةْ

إنها قدرة فنية خلاقة تسمح له بالجمع بين أكثر من فكرة ومعالجتها بطريقة رائعة فى موطن واحد ومساحة

لفظية ضئيلة، فقد وصف المحبوبة: هدبك ظلّى/ صوتك اهزوجتى/ صدرك وسادتى / حبك زادى، واعترف لها بالفضل؛ معلمتى أنت، واستدعى الخوارق والأساطير عبر الحقائق الدينيّة:عيسى وموسى عليهما السلام، عام الرمادة / الريح الصرصر العاتية / رأس الغول، وأبان عن حجم الخطر الهائل الذى يصارعه: الغول / الفلول العادية، وأبان عن سلاحه السرّى الذى حقق به الانتصار على كل هذه الفلول العادية وهو الحب (كنت صبّاً حالماً)، وابان عن كيفيّة فزعه وهبوبه على أعدائه كالريح الصرصر المدمرة: أيقظتنى صرخة فزعى تنادى أدركوا خدر الأميرة، فهو بهذا يصنع نوعاً من التعادل بين سلاحه / الحب، وجمال المحبوبة ومكانتها / الأميرة، كسبب فى تحقيق المعجزات التى ما كان لتصدر عنه ما لم تكن هى معلمته، ومن الطبيعى أن ينتصر الخير على الشرّ كما يقول: جئت نقيّاً وطهوراً وحالماً، وللشاعر لغة خاصة تفصح عن علاقة أسرية حميمة بينه وبين المفردات والتراكيب، وتوحى بأنّه يتعامل مع الألفاظ كما يتعامل مع أبنائه أو أفراد أسرته، يمنحها

الدفء والأمن والحنان فتبادله حبّاً بحبّ وتبوح له بأسرارها، وهناك تآلف وتآزر بين الألفاظ يبعث على الدهشة وتحيط بكلّ معطيات النص حالة من القداسة وعبق التاريخ العربى المشرق:-

الأب/ الفلاح/ الفقير/ الصراخ/ الفزع/ الخدر/ الأميرة عيسى/موسى/ريح صرصر/رأس الغول/السيف المضرى/عام الرمادة/أعناق الفلول

الصرخة/الفزع

الحلم/المعجزات/الصباح البابلى

خدر الأميرة

الحبّ/ الهدب/ الصوت/ الوسادة/ الطهر/ النقاء/ الأهازيج/ الصبّ

لقد نجح الشاعر نجاحاً كبيراً بهذه الآليّة الإبداعية الراقية فى إلغاء المسافات بين المبدع والقصيدة، وربّما ساعدتنا الظروف على التأكد من صدق هذه المقولة من خلال التعرّف على سيرته الذاتيّة، فهو يتّسم على المستوى الشخصى وإلى حد كبير بما تتسم به قصائده، فهما وجهان لعملة واحدة أو لكيان عربى شامخٍ ينزّ عزة

ومجداً وإيماناً بكلّ ما هو خيرٌ وطهرٌ، ورغبة في العطاء وقدرة على التجدي، ولم تستطع الغربة الزمانية والمكانية أن تنشئ مساحة بينهما:

لا تستوقفوني
وعلى كفّيَ روحي
فخّخوا أشلائي الخرساءَ
تنطق
فجّروني في عدوّ الله
بالله خذوني
إنني رُبّيتُ في بيت شهيدٍ
صدّقوني
في دمي منه أريجُ
من شذا القدس..
هبوني
فرصةً للبعثِ فيها
يُبعثُ المرءُ على ما ماتَ
يا أحباب لاحت جنّتي
لا تحرموني..

وكما هو واضح أمامنا أن الشاعر والقصيدة والوطـن/ الأمّة / والعقيدة (الإسلاميّة) شئ واحد أو كلّ موّحـــد لا يمكن التعامل مع أى جزء منه بمعزل عن بقية الأجــزاء على المستوى الظاهرى أو الباطنى على حدّ ســواء، وأنّ الشاعر المعاصر يؤدّى نفس دور الشاعر القديم، يدافـــع عن وطنه/ قبيلته/ عشيرته/قضيّته، ويعبّر عن حبّه وعن جمال محبوبته، فـــهنيئاً لأميرتـــه (أميرتنـــا / مصـــر / العروبة) وبعودته.. فـــها هـــو يمتطـــى صـــهوة لغتـــه السـاحرة.. ويغــوص بيـــــن شــــعاب المرجــــان الشعرى..يستخرج لؤلؤة تلو لؤلؤة.. ويمنحنا واحدة، هى الحبة الثالثة فى عقد النور الذى ننظمه لنضعــــه علـــى صدره محبوبته / محبوبتنا، مصر.

ليلى فهمى

هذا الآبق من حفل صاخب!

أ.د.محمد زكريا عناني

لم أتعرف على اسم "عبد المنعم سالم" إلاّ مؤخّراً، وهو على الرغم من طول غيبته لم ينس مدينته ولا ناسها، ولا وطنه، ولا النيل ولا تراثه ولا أصوله، -بإيجاز- يحيى الماضي في قلبه، ولكنه ليس ماضياً ولىّ وانتهى أمره، وإنما هذا الذي يلوح فيما هو واقع ومستقبل، وما هو معنوي ومادي، وما هي حقائق ماثلة صلبة، وما يتراءى أطيافاً وهواجس ورؤى غارقة في الضباب.

وقد استمعت مؤخراً إلى أكثر من قصيدة لعبد المنعم سالم، فيالهذا الفيض من الوجد والشجن والتوتّر الذي يتدفّق في شعره، ويالحرارة الرؤية عنده وهي تتشكل ألفاظاً وصوراً ودلالات وإيحاءات، ويتداخل فيها الحاضر والماضي، وينبض في البيت هذا الرفيف الأخّاذ الذي يأتي بسيطاً وشفيفاً ونبيلاً كأجمل ما تكون البساطة والنبل.

لن أتوقّف أمام مطولات هذا "الفتى" الذى أفاجـأ أنـه يكتب الشعر من أربعين سنة (عفواً: لقد كنت أظن أنـه دون الأربعين...) وإنما تكفى إطلالة على أحد النصـوص القصيرة:

لا ترحلوا
لأنهم بحاسبات العمّ سام
ودائماً
باسم السلام
يجمعون، يقسمون، يضربون
يطرحونكم
أرضاً
لكى تسلّموا
وترحلوا

تشبثوا بأرضكم
فهى
بكم
وطن
وليس فى الشتات من وطن

فكل سفرة بغربة

وكل غربة بتوهة

وكل توهة بفقد

وقد كفى

ما قد فقد

هكذا انتزع الشاعر جملته من العادى المألوف، وكوّن هيكل موضوعه من مفردات لا تتألق بـــ "الشعرية" إلـــى حد أن القصيدة كلها لا تكاد تتضمن "صـــــورة شـــعرية" واحدة، فهل هذا شعر؟

نعم، إنه شعر! أو فلنقل إنه انتفاضة الخـــاطرة التـــى لا تلفّ ولا تدور، والتى تستمدّ تألقها التصويـــرى مـــن التشكيل فى فورته المتلاحقة من معنى وألفاظ وحمـــاس وتهكّم وإيقاع حى، يجعل القارئ يشكل هـــو الصـــورة، بحيث تبرز ساحة فلسطينية وشباب يـــهرول بالمقـــاليع والأحجار، وطلقات تدوىّ من العدو، وعـــروق ودمـــاء وصيحات، وشاب فلسطينى يهوى، وحســـناء كـــالوردة اليانعة تهرول إليه لتحميه- كيف عرف عبد المنعم ســـالم بثّ الحياة فى هذه اللوحـــة مـــن دون أن يدخـــل فـــى

تفصيلاتها ؟ فقط وهو يتكلم هذا الكلام العادى عن الذين يجمعون، يقسمون، يضربون، يطرحونكم أرضاً، لكى تسلّموا وترحلوا..

ثم يأتى الصوت وكأنه يندلح من الأعالى هاتفاً: تشبّثوا بأرضكم، فهى بكم وطن.. هذه ولا شك خطابية، وهى لا ترضى السادة الذين يريدون أن يكون الشعر تشكيلاً سورياليا وحروفاً مبتورة، والقضية ليست مطلقة فما أكثر المواقف التى أضيق فيها بالخطابية فى الشعر، إلاّ فى هذه الحالة، ولا شك أن روحى تهفو للموجة والوردة والجمال الشفيف، لكننى أيضاً أتجاوب مع القصيدة التى تثور وتثير، وتنبعث بركاناً حانقاً مزمجراً يهزأ بالقيود والأحقاد، الشعر الذى يولّد فينا طاقة البقاء، فقد كفى ما قد فقد، ويبشّر بالعودة وسقوط ليل الشتات وأحزان الغربة.

وياله من نص هذا الذى أجرى القلم –من غير أن يقصد– بكلمات الانتفاضة والعودة والحماس وجعلها تبشّر بالوردة والموجة وحلم الانتصار وعشرات المعانى

الأخرى التى تحلّق كالحمام الأبيض مـــن خـــلال هـــذا الهتاف:

لا ترحلوا...

إننى أتوقّف عن الاستمرار فى الكتابة لأننى أشعر بـــأن من حق كل قارئ لهذا الديوان الجميل أن يكتب له -ولو من غير حروف مرئيّة- المقدمة التى تترسّب فى داخلـــه من خلال مواكبته له، وإحساسه بهذا الفيض الحار مـــن الصدق والفن وعمق الرؤية.

الإسكندرية فى ٢٠٠١/١/٧

لقـــاء

اللّيلُ عاصفٌ مطيرْ
والرأسُ عاصفٌ مطيرْ
وليس فى الطريق غيرُ العرباتِ العائدةْ
وبعض مَنْ تقيئهم حاناتُ آخرِ الغَلَسْ
وسَعْلةٍ
يجئُ ردّها
علامةَ انتباهةِ العَسَسْ

وجائعٍ
حَدّقَ فى آخر كسرةٍ لديهِ
ثم دسَّها بجيبهِ
ليطمئنَّ جوعُهُ إلى عُلالةٍ أخيرةْ
فى لحظةِ الإعياءْ
وغذّ فى المسير

*****

جُبْتُ الميادين الشوارعَ القديمةَ الأزقّة التى أعرفها
لعلّنى ألمحُ فى صقيعها وجه صديقٍ

شاقهُ تسكُّعٌ قديمْ
أو شاعراً يداهمُ القصيدةَ المطيرةْ
فى عُقر دارها
أو صاحباً عرفتُهُ ذات مساءْ
أيام كان خاتمى
يُطوّقُ الزمانَ والمكانَ والأشياءْ
الريح تثقبُ القميصَ والضلوعْ
وتلتقى بالجوعْ
وأعينى تمسحُ وجْهَ الأرضِ خُطوةً فخطوةْ
أحسستُ أن القمرَ المخنوقَ
فى كفِّ عمودِ الكهرباءْ
- لأنّه شارك فى خديعتى -
يندم حينما انحنيتُ فجأةً على غطاء "كولا"
مسحتُ كَفِّى
ثم أخرجتُ العُلالةَ الأخيرةْ
حَدّقتُ فيها لحظةً
رأيتُها رغيفا
إيهِ لبلدةٍ

يصيرُ حُلْمُ إنسانٍ بها
رغيفا
وقبل أنْ أُذيبها فى لَوْكَةٍ واحدةٍ
وحينما هممتُ بالرجوع
منهزماً
جريحاً
استوقفتنى مِزَقٌ مُغَبَّرَةْ
على عظام نخرةْ
تزجى مواء طفلةٍ بريَّةٍ.. باكية
نظرتُها
كابِيَةْ
ولفظُها مرتجفٌ
من غَضْبَةِ الأُمسيةْ
وحين أسرعَتْ يدى - حالمةً -
لجيب سروالى القديم
لمستُ جلدىَ ارتجفْتْ
وعندها أفقْتْ
على تلاقى أعينى بالأعين التى

قد أدركتْ بفطنةِ المضيَّعين محنتى
فبادلتنى نظرتى المنكسرةْ
بنظرةٍ منكسرةْ
قرأتُ فيها اليُتمَ آيةً فآيةْ
فالجوع والشتاءْ
والعُرىَ والعراء
وكومةً مبتلةً من الهشيمِ ترتمى
فى آخر المساء
بعيدةً
عن أعينِ المرفّهينْ
وعضَّ قلبى هاجسٌ حزين:
بدايةُ الطريق - يا صغيرتى -
مُوحِلَةٌ
تُرى لأين تنتهين ؟
أواه يا راجفةَ السؤالِ يا شقيقةْ
يا صفعةَ الحقيقةْ
الكِسرةُ التى بها قد يُرْجَأُ الموتُ لفترةْ
لو فوقها امتلكتُ كِسْرَةْ

أو كنتِ بَكَّرْتِ دقيقةْ
فاطرقَتْ
وانفلتَتْ
وبعد أن مضتْ
لم أُخرِج المنديلَ من جيبى
فالليلُ عاصفٌ مطيرْ
والقلبُ عاصفٌ مطيرْ
وليس فى الطريق
غيرُ جائعيْنِ افترقا
كِلاهُما
خلفَ رغيفِهِ
يسير

الإسكندرية ١٩٧٢

فرارٌ ليليٌّ من مدينة القبور

مُجَرِّراً رأسى

ومِئزرى

وشيئاً ضائعا

أطوى مدينةَ القبورِ

شارعاً فشارعا

ومُرْهِفاً أُذْناً بأعماقى إلى صوت انهيارْ

أستأنفُ الفرارْ

مُبَعثِراً تساؤلى

ما بين وَحْشَةِ الطريق

والسماءْ

عن ومضة انتماء

رِجْلاىَ نَزّتا دماً

فخارتا منقلتين.. والعواءْ

يَفْجأُنى

فهل تُرى أستأنفُ الفرارَ

أو أُتِمُّ سَــقْطَتى

باالله يا أحبّــتى

هل فيكمو

مَنْ يعرفُ الزرقاءْ

لعلّها تدلّنى

لعلّنى

أعرفُ هل أستأنفُ الفرارَ

أو أُتِمُّ سقْطَتِى

*****

يمتَصُّنى تَرَحُّلى

إلى النجيمةِ التى

لمَّا تَزَلْ مطموسةَ البريقْ

السقف آد عاتقى.. لكننى

ظَلَلْتُ مُنْشَدًّا إلى السرداب.. أنحنى

استنشقُ الهشيمَ والتجيُّفَ الذى يَـلُفُّنى

نُجَيْمَتى

لمَّا تَزَلْ مطموسةَ البريقْ

والدربُ

كلما شكوتُ ضيقَهُ

يضيقْ

وفجأةً

هَوَى بىَ الدربُ

وفجأةْ

كَفَّننى انْحِطَامُ سقْفِ ذلكَ السِّردابِ

مُضَرَّجاً

فى مِزَق الثيابِ

وانغرسَتْ جُمْجُمَتى

فى قدمِ الشيطانةِ التى

أهوتْ على احتضار زفرتى

فاختنقتْ وصيّــتى

والآنَ

ها أنا سقَطْتُ يا نُجَيْمَتى

ولم يعدْ سوایَ مَنْ يسيرُ فى جنازتى

فردّدى أيتها الشواهدُ العتيقةْ

العمرُ كان للحقيقةْ

وقريتى

بها حقيقةٌ فريضةْ

الوعدُ، وابتسامةٌ عريضةْ
فى خطبةٍ طويلةٍ عريضةْ
تسرقُ موعد الصلاةِ
كى نضيع أولاً
وآخرا

وخلف الابتسامة القناع
جمجمةٌ منخورةٌ "لمنقرع"
أو للذى قَرَعْ
أرضَ الجدودِ بالعصا
فمن عصا، وهَمَّ أن يقول "لا"
له العصا

فردّدى أيتها الشواهدُ العتيقةْ
العمرُ كانَ للحقيقةْ
العمرُ كان
وكانَ ياما كانَ فيما فاتَ منْ زمانْ
يطوفُ طيفُ عاشق
- بخُرْجِهِ اللا زادَ فيه غيرُ طيف -
مجاهِلَ الأوجُهِ والبلدان

يسألُ كلَّ عابرٍ: أشُفْـتَها ؟
يقولُ: مَنْ !
رَيْحانتى العشيقةْ !
وما اسمها ريحانةُ الفتى العشيقةْ!
ويمسحُ العاشقُ غُصَّـتينِ:
إنها الـــ حقيقةْ

الإسكندرية ١٩٦٧

طوبى

كان لنا أرضٌ
وعلينا فرضٌ
ولنا في الأرض براقْ
وبراحٌ مسكونٌ بالآفاقْ
وبشاراتْ
وقطوفٌ دانيةٌ
ولغاتْ
عُلِّمنا من لغة الطيرِ
ومن لغة البحرِ
لآلئَ أسرار لغات البرِّ
وكلَّ الأسماءْ
ولغات ممالك أُخرى
نعرفها
ونصاحبها فى الملكوتْ
وتعلَّمنا
أن نبسُطَ فى الأرضِ مسالكَ
ونُعَبِّدها للسالكِ
لا نسأله أجراً

إلاّ الرفقةَ
والرفقَ
علمنا أنْ وُضِعَ الميزان
****
وأظلّتنا أعراشُ الكرْمِ
دنتْ وتدلّتْ
فدنتْ أفعى الرغبةِ وانسلّتْ
فأكلنا حتى السُّكْرِ
فتُهْنا
فظننا أنّا نقدِرُ
فتمطّينا فوق سريرِ القدرةِ
وتطاولنا فى البُنيانِ
فتِهْنا
فنسينا الحبلَ السُّرّىَّ
وهل كُنّا
- حَالَئِذٍ -
نعلمُ ما الحبلُ السُّرّىُّ
وقد غُيِّب عنّا ما يُخْرِجُنا
إذ كنّا لا ندفعُ أجرا؛

كُنَّا لا نشعرُ بالتَّعَبِ ولا بالسَّغَبِ ولا بالفقرِ ولا بالقهرْ
وكأنَّا كُنَّا نتعلَّمُ
ألاَّ نُشْعِرَ أحداً
بالتعب ولا بالسَّغب ولا بالفقر ولا بالقهرْ
وكأنّا كنا نتلمَّسُ آيةَ سِرِّ الحُبِّ
ونَنْشَقُ أرَجَ الحِكمةِ
ونجوسُ بأحراشِ الألوانِ
فنقطفُ عنقودَ النورِ
ونركبُ أجنحةَ الصفصافةِ
نقفزُ مِنْ أعلى فى نهرِ الشَّفَقِ،
فنسبحُ حتى ضِفَّةِ أرضِ المِسكِ
فنبنى فى كثبانِ المِسكِ بيوتاً
نتزوجُ فيها "لَمَّا نكبُر"
وكأنّا كنّا نتفهَّمُ أنْ
لا حولَ ولا قوّةَ إلاّ بالله
لا حولَ ولا قوّةَ إلاّ بالله
اعوَجَّتْ طُرُقاتُ الناسِ
وأوقاتُ الناسِ
وأحلامُ الناسِ

وأفهامُ الناسِ
فمِن طرقاتِ التوحيدِ
إلى طرقاتِ التعديد
ومن أوقاتِ المنح
إلى أوقاتِ المنع
ومن أحلامِ الفردوسِ
إلى أحلامِ الدوسِ
ومن أفهامِ الحالاتِ
إلى أفهامِ الآلاتِ
فصارتْ غاباتُ الأرضِ مخازنَ للأخشابِ
وقوداً للآلةِ
والآلةُ لا تشبعُ
فانتُهكَتْ أرضُ وأعراضُ الخَلْق
تنازعَها مُتْرَفُ كلُّ قَبيل
فالتقتِ الأنيابُ اصطكّتْ كلُّ مخالبِ أهلِ البَرِّيَّةِ
ضاقت بهم الأرضُ فشدّوا أجنحةَ شياطينِ الطيرِ
عليهمْ واقتتلوا فى الجوّ اندلقتْ فوق ربوع الأمصارِ
سيولُ الدّمِ دمدمتِ الأرضُ ودبدبتِ
الأفئدةُ وأزّتْ فاهتَّزتْ طوّحها الرَّوْعُ بعيداً

تحت سنابكِ دبَّاباتِ الأرضِ ودكَّاكاتِ الجوِّ وحطَّتْ فـوق أماكنها أقفالٌ تمنعها العودةَ ، عمَّــــتْ فوضـــى انـــهكَت المصطرعين، تهادنَ ســــادتُهُم فتــهادنَ غــيرُ الســـادةَ، وانصرفوا يَتَلهَّوْنَ قليلاً قبل الحربِ المقبلةِ،
وصَفَّقَ كُبَرَاءُ القوم:

أعِدُّوا المائدةَ

فداخَ الفقراءْ

-*-

خُذْنى - يا حادى - مِنْ هذا الخَبَلِ الخابلِ
أدفعْ لكَ أُجرتَكَ السُّــقْيا والخدمةَ والطاعةَ
فى الحقِّ؛ فما عادَ هنا مِنْ أحدٍ يتركنى أعملُ
فى حالى،
سَدُّوا، أو ظنُّوا أنْ سدّوا، دونِيَ
أبوابَ الغَيْثِ
وكانتْ غنماتِى تخرجُ حَوْلى
كلَّ غَــدَاةٍ متقافزةً فى جَذَلٍ غنمىٍّ حُلْوٍ
نحو المرعِى والماءِ وظلِّ النخْلاتِ
أُغَنِّيها ما شاء اللهُ من البَوْحِ
وقد أبكى أو يتحشرجُ صوتى

فأرُوحُ بوجهِيَ للناحيةِ الأخرى
كى لا تلمح دمعى
فتكُفُّ عن اللَّعِبِ
وتأسى

أخذوها منّى
غَصْبا
كنتُ أعافرُ عنهنَّ
إلى أن أَسقطَ من تَعَبى
وأراها - وهى تَمَلَّصُ منهم -
تخبو
واحدةً
واحدةً
فى الأفْق
وتبقى صورتُها المرتاعةُ
كابِشَةً قلبى

أخذوها بالغصبِ
وكانت تُدفِئنى فى البردِ
تروّينى فى الصَّهْدِ
وكانتْ

تفهمُنى

لم أكُ وحدى بالأمسِ
وها أنذا الآنَ بلا أحَدِ

- أحَدٌ أحَدٌ
أحَدٌ أحَدُ

- قد كان لنا بلدٌ
ما عاد لنا بلدُ

- أحَدٌ أحَدٌ
أحَدٌ أحَدُ

- قد كان لنا ناسٌ
ما عاد لنا أحدُ

- أحَدٌ أحَدٌ
أحَدٌ أحَدُ

- أحَدٌ أحَدٌ
أحَدٌ أحَدُ

أهازيج حبّ لمصر

(١)

لم أكنْ عيسى
وما كانت عصا موسى معى
حينما جئتكِ صبحاً بابليا
كنتُ فلاحاً فقيراً
وكما كان أبى
جئتُ – كالحبِّ – نقياً
وغيوراً
ولأنى كنتُ صبّاً حالما
أيقظَتْنى صرخةٌ فَزْعَى تنادى:
أدرِكوا خِدْرَ الأميرة
فانبرى حُبىَ سيفاً مُضَريّا
شَجَّ رأسَ الغولِ فانهدَّ ذليلا
وكريحٍ صرصرٍ عاتية
كان سيفى
فوق أعناق الفلولِ العاديةْ

وأتيتُ
معجزاً
لكننى
لم أكنْ عيسى
وما كانت عصا موسى معى
كنتُ فلاحاً فقيراً
وكما كان أبى
جئتُ
- كالحبّ -
نقياً
وغيوراً

(٢)
ربيعاً
يزفُّ إليكِ مدار السنينَ
إذا ما أشرتِ
مُرينى
وشُلّت يمينى
إذا ما اختبأتُ بلحظة صمتِ

أفكّرُ فيما أمرتِ

مُرينى

براقاً

زهيرة حبٍّ

أعاصيرَ عادٍ أكُنْ

فقولى - إذا شئتِ - كُنْ

مُرينى

وشُلّت يمينى

إذا ما اختبأتُ بلحظة صمتٍ

أفكّر فيما أمرتِ

معلّمتى أنتِ

كيف بلالاً

أكونُ على رابياتِ القمرْ

وكيف أُأنْسِنُ بستانَ حلمى

إذا ما تثاءب جفنُ السحرْ

وكيف انتعالُ المحالِ يكونُ

وكيف أصادقُ وجهَ القدرْ

فكيف.. وهُدبُكِ ظِلّى

وصوتُكِ أهزوجتى الباقية
وصدرُكِ لى - حين أغفو - وسادةْ
وُحبُّكِ زادى بعام الرمادةْ
أكونُ جَحوداً

إذا ما أمرتِ

مُرينى
وشُلَّت يمينى
إذا ما اختبأتُ بلحظة صمتِ
أفكر فيما أمرتِ

(٣)

بعدما حوَّم طيرُ الموتِ فوقى زمنا
واستبدَّ الكبحُ خلف الشفتين
كان نعلُ اللفظةِ المغلولة الزند يسوخ
تحت لحمى
كان نعل اللفظةِ المغلولة الزند يسوخ
كان عربيداً ولكنى
عنيداً كنتُ
إذا فجَّرتُ قَبْوي

وانعتقتُ

عندما كبُرتُ

ذاب الرَّانُ عن قلبى

ودربى

والرياحْ

عندما بَسْمَلَ خَطْوِي

فالقُ الإصباحِ

أهدانى الصباحْ

فغدا حبُّكِ ممشوقَ الجَنَاحْ

يحملُ الشوقَ وسِرَّ الخُلدِ زُلفى

لك يا محبوبتى الأوفى

فهل سامحتِنى

لا.. كفى صمتاً

أجيبى

لا تردِّينى وفى عينَىَّ نهرٌ مِنْ وجيبى

امنحينى زادَ ترحالى إلى حِضن المدى

التقاءً سرمدا

باركى عُرسَ التلاقى

واتركى الأشواقَ تُذْكى زغرداتِ الدمعِ

فى نبض العناقِ

فأنا يا كَمْ - سُدىً - ضاعت دموعى

(٤)

جُرحى

هاجر عن جفنيهِ كراه

ذوَّقنى طَعْمَ النومِ على سِلكٍ شائكْ

كيما يُسمعنى غَزَلِيَّةْ

يتعجّبُ فيها العاشقُ حين صحا:

كيف استلبَ النومُ عيونى

وأميرةُ حُلمى مسبيَّةْ ؟!!

جُرحى

قد وطَّأ لى ظهره

لأضم إلى شِطْرِىَ

شِطْرَهْ

الآبقُ مِنْ حفلٍ صَاخب

فناناً كان
فلتعرفْ
أن الطفل نقيّ
ورقيقٌ
وعميقٌ
كصلاةِ نبيّ
ورفيقُ حياةٍ
للفقراءِ.. وللشعراءْ
ورفيقٌ دوماً
للعنقاءْ

*****

شرَّفني ذات مساء
واستاءْ
وقُبيل سؤالٍ كاد يفورُ على عينيه
طار التأويلُ إليه:
إن ظلامَ الغرفةِ ينسجُ غيْمي

هالات قُزَحيَّـــةْ
والكأس نديمٌ - أعرفُ - عربيدْ
لكنَّ الحزنَ مديدْ
والعيدْ..
يتنكّر لى
غابت عنه ملامحُ كلٍّ رفاقى
والكلُّ الليلةَ
نسوا الأحرفَ والماءْ
فالحرفُ نزيلٌ بالأقبيةِ المتّسخةْ
والوردُ قريبٌ
قُرْبَ الجلد من الشاةِ المنسلخةْ
أوصَوْنى بالإيماءةِ
ألاّ أحجبَ عنهم صوتَ الرحمةِ والنورْ
لو جاءا
واتخذوا الأرصفةَ غِطاءا
وأنا
أسبرُ غَوْرَ عيون الضوءِ الأسْحَمْ
وأسائلُ هذا الخِدْنَ الماجنْ

عن حجاجٍ

أرحيْ

قالَ:

- الليلةَ كنتُ أفتّــشُ عن حواءْ
- أتريد رفيقةَ ليل ؟!!
- أكل الميْتَةِ - قِيلَ - حرام

وإذا كان السِّفر القُدْسيُّ انداح عليه وحَوْلَيه غبار
فبأنفاس نهارْ
قد يتنفّس سَوْطٌ وحَجَرْ
فلنتوضّأ بالدمع الحارْ
كيما تسمعَ أقصوصةَ آدم:
أهطعتُ بكُلّي نحو البدء النبغ
فتّشتُ سماواتٍ سبعْ
وحضنتُ الشمسَ أبوس الوجه الآبقَ من حفلٍ صاخبْ
ونطقتُ حروفاً
نوراً
فتمطّت من ضلعي حواء
انطلقت شهقةُ حبٍ

ليس كحبِّ الناس الفاس

خنسَ الخناس

جاوزناه

وسجدنا لله

نسأله طفلاً

إنساناً

يستبدل كلَّ عقولِ نعامِ الأرضْ

بالأمن الفرضْ

ويصبُّ ضياءَ الشمسِ على الخفّاش

كى لا يمسحَ - بعد الطفح - خُوانَ أمير

ويبيع الروحَ

وليس يبيعُ رُغاءْ

بالكرسىِّ

وبالبَبْغاء

تعلَّم كيف يقولُ نعم

*****

وبأحزانِ مساء

بعد الأحضان النظرية

بمكانٍ ما
ساءلتُ صديقى
عن شيءٍ ما
فتبسّم دمعاً
قال:
خنسَ الخناس
جاوزناه
ورجونا للدنيا مَنْ
آه..
رأسى لا زال يطنْ
فلتسرع حتى حواء
خلف متاهة هزّ الخصر الأكرش
وانطق كلْمة سر الليل
سترُدّ عليكَ سلام الله
وتحدقُ خلفكَ وِجلَى
وهى تحلّ جديلة
فخذ المفتاح
وخارطة المصباح

واحمل ما يكفى ويَسُرّ
من ألواحٍ ودُسُر
واكتم عنها - كى لا تحزنَ - أنى...
*****

وبإثر حديث لما يبدأ بعدْ
أقبرتُ بكفِّ الحارسِ قطعةَ نقدْ
وتعثَّر دمعى
باللا معنى
وتحشرج فى العين استعطاف
رفقاً
فصديقى
- يا سجّان -
فناناً كان
ولتعرفْ
أن الطفل نقىّ
ورقيقٌ
وعميقٌ
كصلاةِ نبىّ

ورفيقُ حياةٍ
للفقراءِ.. وللشعراءْ
ورفيقٌ دوماً
للعنقاءْ

الإسكندرية ١٩٧٢

طفلٌ يسأل

قلبى
طفلٌ حافى القدمينِ
يسيرُ على طرقاتِكَ
يا تلَّ الزعتر
وزجاجُ نوافذِ كلِّ بيوتِ الحيِّ
مع الأشلاءِ
على الطرقاتِ
تبعثرْ
كلُّ الطُرُقاتْ
طلقاتٌ
أنّاتٌ
حُرَمٌ مُنْتَهَكَاتْ
من أىِّ جهاتِ الأرضِ يجيءُ الموتْ ؟!
كلٌّ يتعنترْ
لكنى لا ألمح فيهم وجهَكَ يا عنترْ

بل أشهدُ كوناً حيّاً

يتدمَّرْ

بيتاً بيتاً

درباً درباً

أُمّاً زوجاً

طفلاً كهلاً

طُهراً عهراً

يتدمرُ تلُّ الزعتر

ها هو ذا وجهٌ أغبرْ

يطلُعُ بالسَّمْتِ الشيطانيِّ على الدرب المقطوعْ

طَلقتُهُ حيثُ يشاءُ تطيعْ

يرصُدُ رأساً قد أينع

يبسم كالقرصانِ

يصوِّبُ

"طَخ"

صاحت: "أَخْ"

سقطَتْ

لم يسمعْها

لكنْ

شيءٌ ما شَدَّ خُطَاهُ إليها

ليفتّشَها

أو ليمثّل بالجثةِ

أو..

أختي سلْمَى !!!

لا يمكن !!

لكنْ.. ها هو ذا قد أمكنْ

"طخ"

ماتْ

طَلَقَاتْ

طَلَقَاتٌ

طَلَقَاتْ

يا حاوى العصرْ

هل تضمنُ أن تنجُوَ من لَدْغِ الحيَّاتْ

طَلَقَاتْ

طَلَقَاتٌ

طَلَقَاتْ

جوعٌ

تشريدٌ

ورفاتْ

والطفلُ الحافى القدمينِ

على طرقاتِكَ يا تلَّ الزعترْ

يَحْزُنُ

يرفضُ دربَ العودِ إلى البيتْ

ويُسائلُ فى غضبٍ ساذَجْ

من أىِّ جهاتِ الأرضِ يجيءُ الموتْ ؟

مَنْ يَقْتُلُ مَنْ ؟

ولماذا ؟

مَنْ ينجو ؟

مَنْ يُقبرْ

فى قاع جحيمِكَ

يا تلَّ الزعترْ ؟

أيها الموجُ تدفَّق

ما الذى يبدو وراءَ الغيم
نهرٌ ذاك
أم قهرٌ جديدْ
انتظِرْنى ساعةً
علِّى أرى
هل يستقيمُ الظلُّ
أو نمضى مع الجزْرِ بعيداً مرةً أخرى
بطيءٌ ذلك التابوتُ
والموجُ ارتجافْ
أيها الموجُ الذى يحملنى
ماذا دهاك اليومَ
هل تخشى انبهارَ البعثِ
أو تنوى الخيانةَ ؟!
لا تَخَفْ
تلكَ يدى خاليةٌ

إلاّ مِنَ المخطوطِ فيها

إننى ألقاكَ فى سرّى

كما ألقى الذى من أجلهِ

ألقيتُ فى اليمّ

فخذنى مطمئناً

إننا كنا نسيجاً واحداً

لا يتفتَّقْ

أيها الموجُ

تدفقْ

نحو من تُزْعِجُهُ رؤياهُ

كيما

تتحقّــقْ

الإسكندرية ١٩٧٩

إفضاءٌ آخر من الغريب

أولُ مَنْ راضَ ظُهورَ الخيلِ الوحشيةِ
إسماعيل
عليه سلام الله
إسماعيلُ الآتى
من ترويضِ النفسِ الوحشيةِ
لجميلِ الصبرْ
فالأمُّ الصبَّارةُ
هاجرُ
كانت مِنْ أمِّ الصبرِ علىِ وجهِ البَرّ
مِن عصرِ الصابرِ أيوب
إلى هذا العصرْ
"والعصر"
لــن يفلــحَ مَــن يُحزِنُ قلبَكِ
يا أمَّ الصبرِ على وجهِ البَرّ
يا ذات القلب المتوضّئ
بطَهورِ فراديسِ البِرّ
يــا عذبــةُ
يا مصرْ

ليبيا ١٩٩٧

يتيم الخيمة

صمتٌ

وصلاةٌ

ووَجلْ

أرملةٌ

وعجوزٌ ثكلى

والطفلُ "أملْ" :

أحشاءُ زميلةِ خيمتنا

الصمتُ يُنَدّى أنفاسَ الخيمة

يُشعلها ،

ويضجُ : متى ألقاكَ

مَتَى ؟

وصلاةُ الخائفِ

في محرابِ الموتِ

تقول: مَتَى ؟

الطفلُ يُغاضِبُ لُعبتَهُ

ويقولُ : غداً..

سيجيءُ أبي

ليُزيحَ عبوسكِ عن وجهي

*****

مسكينٌ

فاللُّعبةُ ما عَبَسَتْ يوماً

اللعبةُ

باسمةٌ دوماً

عند الأطفال

مَظْلِمة

يا مَظْلِمتى
أيتها القنبلةُ الموقوتةْ
يزعجنى
أن أترقّبَ عُنفَ اللحظةْ
فأنا يا مظلمتى
يا قنبلةً موقوتةْ
أحملها فى صدرى
منذ خَطَوْت
يزعجنى الموت

الإسكندرية ١٩٧٥

لحظة البعث

كلُّ المرايا
بعد أن تعرّقتْ على جبينىَ الصّبىّ
تبسّمَتْ جميعاً
لكنّها
وفجأةً تهشّمَتْ جميعاً
لأننى بكلِّ جهلىَ الذكىّ
ضممتُها إلىّ
صرختُ حينما تبعثرتْ ملامحى على الضلوعْ
حاولتُ أن أُلمَّها بكفّىَ الشوهاءْ
لكنها تهدّمتْ بجانبى
صارت يدى
شلاءْ
*****
صَمَمْتُ أنْ أراها

وحينها اكتشفتُ أننى
مقدّرٌ علىّ أنْ أمارس الغرقْ
لأشهرَ انتفاضتى الوحشيةْ
لأرقبَ الحياة حينما تشدّها يدى
مُهَتّــكاً كِلْسَ الضبابِ
عن ملامح الغَدِ
لأنَّ لحظتى التى مضَتْ سرابْ
وأنَّ لحظتى التى أعيشها
محضُ يبابْ
وأننى
أريد أن أعيش مولدى
****
لأننى أردتها عظيمةْ
وأننى مَلَلْتُ من تمخضِ الجبالِ
عن هَزَلِيَّةِ الهزال
وكى أعانق الأرقْ
قررت أن أمارسَ الغرقْ
من قمة الشَّلَّلْ

وحينما لَملَتُ غربتى ورُحتُ
وقعتُ
قبلَ شارة الإبداءْ
لأننى ذكرتُ
أن يدى
شَلاَّءْ

****

يا ومضةَ السرابِ فى عيونِ غُلَّتى
يا محنتى
يا معبدى المفقودا
لأننى ارتحلتُ فيكِ راهباً وحيدا
لا تهدرى حرارةَ الدعاء فى شفاهىَ المشَقَّقَةْ
فالقلبُ، يا قيستى العذراء
مع الدروب مُشْعَثُ
بألف قلبٍ، يا حبيبتى،
أموتْ
فلتُمسِكينى
دَرْبا

كى تجمعينى

قلبا

ثم انفحينى همزةَ الوصلِ بِسِفْرِ البَدْءِ

تُطْوَ الفلواتْ

وتَستَضىء

من قَبَسِ الروحِ

ليالِ نَحِسَاتْ

برودةُ الجَفْوِ بها واخِزَةٌ

كنَبْـتَةِ المواتْ

مُدّى عليها بَسْمةً واحدةً

إذا انتهيتُ عندها

أموتُ

يا حبيبتى

كالعاشق المجنون

منتشياً

مقهقهاً

الإسكندرية١٩٧٢

لا ترحلوا

لا ترحلوا
لأنّهم
بحاسبات "العمّ سام"
ودائماً
باسم السلام
يجتمعونَ، يقْسِمونَ، يَضرِبونَ
يطرحونكم
أرضاً
لكى تُسلِّموا
وترحلوا

تشبّــثوا بأرضِكمْ
فهىَ
بكُمْ
وطنْ
وليس فى الشتاتِ مِنْ وطنْ
فكلُّ سَفْرةٍ بغُربةْ

وكلُّ غُربةٍ بتَوْهَةْ
وكلُّ توهةٍ بفقدْ
وقد كفى
ما قد فُقِدْ

التماسٌ مُستعجلٌ إلى ظباء القدس المناضلة

قصيدة لم تتم

يا ظبيًا

لا تتركونى

لهوى مَنْ هَمَّشونى

ومع الأحياءِ

أرجوكم

خذونى

طهّرونى من طقوسٍ

أنا فيها (كالبِدونِ)

جرّبونى

حَجَرًا

فى يد ظبىٍ

نافرٍ

صوبَ المنونِ

أطلقونى

جمرةً

فى عينِ غولِ الوهم

لا تستخبثونى

إنَّ بى شيئاً من الطُّهرِ

هدانى لرباكم

فاقبلونى

لا تردّونى إلى ميتةِ هُونِ

فى نشيدٍ

أو عديدٍ

أو لُحونِ

إننى أصلُحُ مِقلاعاً سديداً

جلدةَ المقلاعِ - إن شئتم-

ولا تستضئلونى

واذكروا النمروذ مَنْ قَــتَّلهُ

بعد أن خلاَّه نَهْباً للجِنونِ

إنها ناموسةٌ مَنْ زلزلتْ

مُلكَ كبير المفترين الدونِ

لا تستوقفونى

وعلَى كفَّىَّ روحى

وحُرُونى

فَخْخُوا أشلائىَ الخرساءَ

تَنطِقْ

فَجّرونى

فى عدوٍّ الله

باالله خذونى

إننى رُبِّيتُ فى بيت شهيدِ

صدّقونى

فى دمى منهُ أريجٌ

مِن شذا القدسِ

هبونى

فرصةً للبعثِ فيها

يُبْعَثُ المرءُ على ما ماتَ

يا أحبابُ

لاحت جنَّتى

لا تحرمونى

عروس النيل

أيتها الغريقةُ المليحةْ
يا أطهرَ الملاحْ
النهرُ لم يعدْ يفيضُ رغم أننى
أراكِ تُغرقينَ
في كل صباحْ
آخذةً فى ذيلكِ المزوّقِ النشيجَ
والقصائد المهرّبةْ
أسئلةً
مدببةْ
تنكأُ لى جروحى
فهلْ يفيضُ النهرُ
قبل أن تفيضَ
روحى؟!

السبب

وعرفتُ لماذا
مَسْرَى خيرِ الخلقِ
– بهذى الأيامِ –
يهونْ

وعرفتُ لماذا
ميراثُ صلاحِ الدينِ
يهونْ

ودماءُ ملائكةِ الأطفالِ
تهونْ

وعرفت لماذا الشرفُ العربىُّ
يهونْ

ولماذا تستأسِدُ
كلُّ خنازيرِ بنى صهيونْ

السببُ
بسيطٌ
مجنونْ

أنَّ جميعَ أسودِ العربِ اليومْ
- إلاَّ مَن رَحِمَ اللهُ -
نباتيّونْ

الإسكندرية
سبتمبر ٢٠٠٠

الرضيع

الآنَ أستطيعُ أنْ أنطقنى
أُخرِسَ جدّى وأبى بالأمرِ
آلافاً من الأزمانِ
هل جربتَ أنْ تُسكَتَ
هذا العمرَ.. أنْ
تَشُبّ فى مَضْيَفَةِ الأخرسِ نارٌ
تأكلُ الضّـيفانَ والأبناءَ والأهلَ وطَيْرَ الدارِ والدقيقْ
ينفجرونَ باتجاهِ بابِهِمْ
لا يجدونْ
يشتعلونْ
يستسلمون للحريقْ
إلاّ رضيعاً ذاهلاً
ألقى بهِ الجحيمُ منْ
صدرِ إلى طَستِ غسيلِ أمّهِ
ظلّ يناغى صوتَهُ
كأنّه أُلهِمَ

أن يَمُجَّ صمتَهُ
مُطَرْطِشاً رَشَاشَهُ
فى أوجُهِ الآتينَ يعلنونْ
أن رجالَ الأمنِ والإطفاءِ
فى الطريقْ

ذاك الرضيعُ
كُنْــتُهُ
ولا أطيقْ
أن أستعيدَ دورةَ الموتِ التى
تبدأ بالسكوتْ
وتنتهى
بمَنْ يجيءُ معلناً
أن رجالَ الأمنِ والإطفاءِ
فى الطريقْ

يا عَجَبًا !

يا حادِىَ الظّعْنِ هَــدِّئْ عَــدْوَكَ الخَبَبَــا
وارحــمْ فــؤاداً لصــبٍّ شــوقُهُ غَلَبَــــا

فــى صُحبــةِ الرّكْــبِ آمـــالٌ مُوَلّيَـــةٌ
مَهْلاً بها - يا أخى - فـــالقلبُ قــد وجبــا

بـــالله يـــا حاديـــاً رُكْبانُـــهُ صَحِبَــــتْ
أمسِى ، ويومِـــى ، ويومـــاً كـــانَ مُرتقبــا

هَلاّ مَرَرْتَـــمْ بـــروضٍ كـــانَ يجمعُنـــا
قبلَ الرحيــــلِ الــذى كُــلَّ المنـــى سَــلَبَا

عَلِّى أُذَكِّـــرُ مَـــنْ عَـــنَّ الرحيــلُ لـــهُ
بالأمســياتِ التـــى كـــانتْ لنـــــا أرَبَـــا

بـــالدَّوْحِ، بـــالزهرِ، بالأطيـــارِ مُهْدِيـــةً
لحنـــاً تثنّــــــتْ لـــــهُ أيّامُنـــا طَرَبَـــا

*****

قـــالتْ لفُرقتِنَـــا مِـــنْ بعـــدِ صحبتِنـــــا
شمسُ الضُحى، ونجـــومُ الليـــلِ: ياعَجَبَـــا!

الطابية ١٩٦١

عذراء البستان

جــــاءتْ تلقـــــانى مُخْتمِـــــــرهْ
عـــــذراءُ البســــتانِ النَضِـــــــرهْ
جــــاءتْ فاســـــتمتع بســـــتانى
بــــــأريجِ الأنفــــاسِ العَطِـــــــرَهْ
جـــاءتْ والشــــمسُ مســــافرةٌ
وعيونـــــى قمــــرى مُنتظِــــــرهْ
جـــاءتْ والخفقـــةُ فـــى قلبـــى
تـــأبى أن تبقـــى مُصنطَــــبِرَهْ
معــذورٌ قلبــى - يـــا صَحْبــى -
مَـــنْ ذاقَ الحـــبُّ لقـــدْ عَـــذَرَهْ

الطابية ١٩٦٣

دعى تفسير معانيه

قـــالت تســـتخبر عـــن شـــــئ
تـــاهت فـــــى بحــــر معانيــــهِ
مـــا قولُـــكَ فيمـــن قـــد أَلِفَـــتْ
تســــبيحَ الفجـــــر لياليـــــهِ
مـــن ينظـــرُ للبــــدر مَلِيًّـــاً
فيَظـــــنُّ البـــدرَ يناجيــــهِ
ويُصيـــخُ السَّـــمْعَ لعَنْدَلَـــةٍ
فيخـــالُ البلبـــلَ يَعنيــــهِ
ويـــردُّ ســـلامَ خريـــرِ المـــاءِ
كـــأنَّ المـــاءَ يحييـــهِ
مـــا قولُـــك فيمـــن لا يُـــرْوَى
إلاّ ببنـــاتِ مآقيـــهِ
ويُـــراوغُ حيـــن يُســـائلهُ
مُسْـــتَقْصٍ عمّـــا يُبكيـــهِ

فيقـــــول إذا الدِّيمـــــــةُ بــــــاحت

فجوابـــــى ســــــوف أُوَفِّيـــــــهِ

مـــــا قولُــــك فيمـــــنْ يَصْحَبُـــــــهُ

للــــــــروضِ نـــــــداءٌ يغريـــــــهِ

فيقبّـــــل خـــــدَّ شــــــقائقهِ

ويغــــــازلُ حُلْــــــوَ أقاحيـــــــهِ

ويحـــــاكى مَيْــــــسَ فراشــــــاتٍ

أطْرِبْــــــنَ بلحـــــنِ ســــــواقيهِ

وبظِــــلِّ الدَّوْحَــــــاتِ السَّـــــكرَى

يُفضــــــى بكبيـــــد أغانيـــــــهِ

مـــــا قولُـــــكَ فيمـــــنْ يأسِــــرهُ

صـــــوتٌ كالـــــهاتفِ يأتيـــــهِ

ويـــــوارى بيـــــن جوانحِـــــهِ

شــــــيئاً عجبــــــاً لا يدريــــــهِ

شــــــيئاً يحتـــــار مُكَـــــابِدُهُ

أىُّ الأســــــماءِ يســـــــمّيهِ

فــــهتفتْ كَفِغْـــلِ مَـــن الدنيــــا

بعــــــدَ الإدبـــــارِ تُوافيـــــــهِ

لَكَـــــأنى بفـــــؤادِكِ يُخفـــــى

مـــا ظَـــــلَّ فـــــؤادى يخفيـــــهِ

فتعـــــالَىْ ننعـــــمْ بـــــهوانا

ودعـــــى تفســـــير معانيـــــهِ

الإسكندرية ١٩٦٥

إفضـــاء

ما عدتُ أحتمـــلُ الســكوتَ فســامحي

إنْ قلــتُ: كــم أهـــواهُ.. يـــا أمّـــاهُ

أعطَى شـــبابِيَ - بالــهوى - مِرآتَــهُ

وحنــا علَــيَّ.. فكيـــف لا أهـــواهُ ؟!

لا تغضبــي.. فــالحبُ ليــس خطيئـــةً

هــو حُلــوُ عـــهدِ روحُنـــا ترعـــاهُ

هــو طفــلُ قلبيــن التقــى نبضاهمـــا

أرأيـــتِ طفـــلاً باعـــهُ أبـــواهُ ؟!

هـــو نفحـــةٌ قدســـيةٌ شـــفّافةٌ

إن كـــان ثـــالثَ صاحبيْـــهِ اللهُ

فاللهُ لـــولا الحـــبُ مـــا خَلَــقَ الدُنـــى

وقلوبُنـــا مـــا سَـــبَّحَتْ لـــولاهُ

إن خِلْــتِ - يــا أمّــاهُ - أنــي طفلــةٌ

أو أن قلبـــيَ واهـــمٌ بـــهواهُ

فـــالعمر أوهـــامٌ تمـــرُ مريـــرةٌ

لكـــنَّ وهـــمَ الحـــبِّ مـــا أحـــلاهُ

أرأيتِ كَمْ -بـــالأمس- كنـــتُ جميلـــةً

لا تعجبـــى إن قلـــتُ مـــن لقيـــاهُ

لا تعجبـــى فعيونـــه ســـحرٌ إذا

مـــا هَدْهَـدَتْ شَـــيْئاً زهـــا مَـــرآهُ

أمّـــاهُ إنـــى مـــا عَقَقْتُـــكِ حينمـــا

لبَّـــى فـــؤادى همـــسَ مَـــنْ ناجـــاهُ

فحديثُـــهُ العلـــوىُّ لا كالشّـــعرِ.. لا

كحديـــثِ أهـــلِ الأرضِ.. مـــا أســـماهُ

هـــو قـــال لـــى: إنـــى بقيـــةُ عمـــرِهِ

أتُحَرّميـــن عليـــه أنْ يحيـــاهُ

لا تحرمـــى روحـــى نقـــاوةَ حبِّـــها

لا تحرمـــى العـــذرىَّ مـــن ليـــلاهُ

لا تُرغمـــى قلبـــى علـــى نســـيانهِ

مـــا بيننـــا.. هيـــهاتَ أنْ أنســـاهُ

الإسكندرية ١٩٦٦

الفهرس

رقم الإيداع ٢٠٠١/١٨٤٩
الترقيم الدولى I.S.B.N 977-5896-25-8

الصديقان للنشر والإعلان
٧ ش زين العابدين- محرم بك - الإسكندرية
تليفون ٠١٢٣٦٨١٣٤١